السيرة 2الدرس الثاني المنافقون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين إلى يوم الدين، رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، وأحلل عقدة من لساني، يفقه قولي طلابنا الكرام مرحبا بكم أينما كنتم، حياكم الله وبيكم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، بدأنا كلامنا في الدرس الماضي عن اليهود ككيان ظاهر يتعايش مع المسلمين في المدينة. أراد منهم النبي صلى الله عليه وسلم الانصهار في النسيج الاجتماعي للدولة الحديثة، ولكن كانت لهم مخططاتهم الخاصة التي أبقوها كامنة متحينين لحظة إعلانها. في المقابل نجد عنصر خفي وليس ظاهر كاليهود، ألا وهو المنافقون، وخفاؤه يزيد من خطورته، وهو ما سيزعج نوعا ما. الدولة الإسلامية الفتية في صراعاتها الخارجية، ولكن هذه الصراعات ستخدم المسلمين، إذ ستكون في حد ذاتها وسيلة للتمحيص، وكشف هذا المرض الخفي الذي يقبع داخل نسيج الأمة، وهو ما سيسهل نزعه والقضاء عليه فيما بعد. ذلك بلغ عدد المنافقين في المدينة ما يقارب 370 رجلا وامرأة، أحدثوا بين المسلمين من الفرقة والشقاق والكيد، أمورا تغلب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم. المؤيد بالوحي، فقد جمع الله تعالى له من أسباب الحكمة والقوة، وبعد النظر، ما لم يجتمع لزعيم قبله ولا بعده، ومعظم هؤلاء المنافقين إما أنهم من أهل الكتاب الذين أظهروا الإسلام، وأبطلوا الكفر، وبعضهم من الخزرج والأوس، وفريق رابع من الأعراب المجاورين للمدينة. ومنهم عبد الله ابن قبي بن سلول رأس المنافقين، والذي كان سيتزعم الأوسع

والخزرج، وينصب سيدا وملكا عليهم قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة، فبطل الأمر، فكان أن حنق على ذلك، وقد انسحب في غزوة أحد بنحو ثلث العسكر 300 مقاتل قائلا ما ندري على ما نقتل أنفسنا، وفي غزوة بين المستلق، قال والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وكان ابن سلول يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما علم اب. عبد الله بما قال ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله، قد علمت المدينة أنه لا يوجد أحد أبر لأبيه مني، فإن تريد قتله، فأمرني أنا، فإني لا أصبر على قاتل أبي وابن هذا المنافق صحابي جليل، واسمه على اسم أبيه عبد الله، وعندما دخل الجيش المدينة بعد العودة من غزوة بنو المصطلق، تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الجيش، ووقف بسيفه على للمدينة، والكل مستغرب من عمله، حتى إذا قدم أبوه داخلا للمدينة أشهر السيف في وجه أبيه، وقال والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما توفي هذا المنافق، وما أكثر المنافقين اليوم، فالحرب تدور رحاها في غزة، وطائفة من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، تجاهد في سبيله لإعلاء كلمته، ونجد من الدول الإسلامية من تتداعى إلى الرقص والمجون بكل صفاقة، بل البعض منهم يتمنى خذلان. دينا وهزيمتهم، ومن خذلان حقيقة إلا ما هم فيه، نصر الله المجاهدين في كل مكان، وأعلى رايتهم، قلنا بعد موت بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر رضي الله عنه، فأخذ بثوب رسول الله صلى الله

عليه وسلم، فقال يا رسول الله، فقد نهاك ربك. عليه، فقال رسول الله إن ما خيرني الله؟ فقال استغفر الله، أو لا تستغفر لهم آ تستغفر لهم 70 مرة، فلن يغفر الله لهم، وسأزيده على ال70، قال إنه منافق، يقول بن عمر، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ولا تصلي على أحد منهم، مات أبدا، ولا تقم على قبره. إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون، وهي من موافقات الوحي لعمر بن الخطاب، وقد قال جلال الدين السيوطي أوصلها البعض إلى 20، وقد أفرد لها مصنف. سماه فيض الوهاب في موافقات سيدنا عمر بن الخطاب، وعن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن، ويجزم المؤرخون المسلمون أنه بموت عبد الله بن أبي بن سلول، انحصرت حركة النفاق بشكل كبير، وتراجع بعض أفرادها فيما بقي البعض الآخر على الكفر الذي يضمرونه، ومن هم الحارث بن سويد، وكان ممن بنى مسجد الضرار ومعه من المنافقين خدام بن خالد وعباد بن حنيف. عمرو بن حزام، وجارية بن عامر، وأبناهم مجمع وزيد ووديع بن ثابت، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ولا يحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون، وكذلك الأخنس بن شريق الثقافي من ثقيف، وكان حسن المظهر، حلو المنطقي، نزل فيه قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وقد تميز صحابي حذيفة بأنه كان كاتم سر النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أصر إليه بأسماء المنافقين، وأمره بعدم الصلاة عليهم، وكان عمر بن الخطاب رضي

الله عنه كلما مات رجلا ظن أنه من المنافقين، أخذ حذيفة معه، فإن صلى عليه صلى معه. وإن أبى انصرف عمر ولم يصلي عليه، ولكنه يأمر الناس أن يصلوا عليه، وقد كان عمر رضي الله عنه يخشى كثيرا، وهو فاروق الأمة أن يكون من المنافقين الذين عدهم الرسول صلى الله عليه وسلم لحذيفة، فسأله ذات يوم مناشداشدا إياه أنا من المنافقين؟ فقال حذيفة لا، ولا أزكي أحدا بعدك. ويقول ابن كثير إن من عرفهم حذيفة، وأسماهم له الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين كانوا 14 منافقا، كانوا قد هموا بالفتك بالرسول في غزوة. أبوه، وليس كل المنافقين، أما عن مشروعية القتال، فذكر أصحاب السير أن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كان بالمآخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقد المعاهدات مع سكان المدينة ومن حولها من المشركين واليهود، وفي هذه الأثناء كان مشرك قريش يهددون المسلمين، ويتوعدون من يأويهم من أهل المدينة، ويتحرشون بزوار مكة من الأنصار وغيرهم، وفي هذه المرحلة أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال، ورد الاعتداء، بعدما كان الأمر. في الأيدي، وإقام الصلاة وإيداء الزكاة، كما في قوله تعالى ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم نزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نسرهم لقدير، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يرسل السرايا والبعوث، وكانت أشبه بالاستكشاف والاستطلاع، وأما الأمر بقتال المشركين، فإنه لم ينزل إلا في السنة الثانية من الهجرة، بعد سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة في رجب سنة إثنتان. فأنزل الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، أي الذين

يبدأونكم بالقتال، وقوله تعالى ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. والمراد بالاعتداء المنهي عنه أن يبدأ المسلمون بقتال الكافرين الذين لم يقاتلوهم، ثم كان القتال عاما في قتال الكفار، من بدأ منهم بالقتال، ومن لم يبدأ، وذلك حتى يكون الدين كله لله، وقاتل المشركين كافة، ولا شك أنقتالي في الإسلام ليست بدعا في شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا في أنظمة الأمم، بل كانت شريعة الإسلام في هذا الباب وغيره أرحم الشرائع، وأكملها وأتقنها وأحسنها، إذ كانت تنهي عن قتل النساء، والصبيان، والشيوخ المسنين، وتنهي عن الغدر والتمثيل بجثث الأعداء، وقد حاول بعض أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملاحدة أن يلبسوا على بعض الأغرار بأن الإسلام إنما انتشر بالسيف، فقال بعض الناس من المنتسبين للعلم، إن القتال في الإسلام للدفاع فقط، وتغافلوا. الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة الثابتة في أن الجهاد الحق، إنما هو ما كان لإعلاء كلمة الله، ونسي هؤلاء، أو تناسوا أن الشرائع السماوية السابقة كلها متفقة على الجهاد لإعلاء كلمة الله، ولم تكن غاية المسلمون القتال للقتال، بل كان الغاية والهدف إيصال شريعة رب الأرباب لجميع الخلاق، وعرضها عليهم، ومن شاء آمن، ومن لم يشأ بقي على دينه، لكن إذا وقفت طائفة لمنع الدين أن يعرض على الناس، فهنا واجب قتالهم، ولا شك، إذيمكن للسماح لطائفة ما أن تصادر رأي الأغلبية، وتحتكر الكلمة والحكم والرأي، وتفرض رأيها على بقية الناس، بمنع دخول كلمة التوحيد، حماية لمصالحهم الشخصية، ومراكزهم السياسية، فكان لا بد من الجهات حتى تصل لا إله إلا الله إلى كل مسمع، مصداقا لقوله تعالى ليبلغن هذا الأمر ما بلغ

الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هـذا الـدين بعـز عزيـز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله. الإسلام، وذلا يـذل الله بـه الكفـر. إلى هنـا ينتهي درسـنا اليـوم نلقاكم الحس المقبلة، دمتم في رعاية الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.